

- 5 -

## من أولئك الناس؟

قبل الحرب لم تكن المحال تغلق في بغداد حتى العاشرة مساءً، بينما فتحت أفخر مطاعم المدينة أبوابها إلى ما بعد منتصف الليل، ناهيك عن حفلات العشاء التي كانت تستمر مدداً أطول. لم يعترِ القلق أحداً بما يتعلق بالعودة إلى البيت في الساعات الأولى من الفجر. مثلت عاصمة العراق، لغير المعارضين، واحدة من أكثر مدن العالم أمناً.

ما انفك رجال الشرطة يجوبون الشوارع. لم يخفَ على أحد أن أبسط المخالفات يمكن أن تزج بصاحبها في (أبو غريب)، إن تبسم له الحظ، ما لم يكن من أقرباء صدام أو حاشيته، بينما يمكن أن تقطع أيدي الآخرين، أو تعلق مشانقهم.

أمضى معظم ضباط الشرطة العراقيين، في كثير من الأوقات، كما علمت لاحقاً، طيلة أيامهم فيما يتبعون له من مراكز. ما كانوا يغادرونها، إلا فيما ندر، عندما يتبلغون وقوع جريمة ما. كانت أجهزة صدام الاستخبارية تتولى الموقف، حين يستلزم عملاً تحقيقياً، أو المضي في الاستجوابات.

سأل مجلس الأمن القومي وزارة العدل، مع اقتراب الحرب، وضع خطة متعلقة بالشرطة العراقية. أوكلت المهمة لريتشارد ماير، الذي كان يشغل في حينه منصب المدير المساعد لبرنامج التدريب الدولي في الوزارة، وأسهم في إعادة بناء قوات الشرطة عقب النزاعات في البلقان وهايتي. بدأ الرجل عمله مستنداً إلى الطرح الرئيس الآتي: لن يكون بمقدورك التأكد مما إذا كانت قوات الشرطة ستبقى في مواقعها، أو تمتلك أياً من الفاعلية. تقدم ماير، بالتعاون مع خبراء دوليين في العمل الشرطي في وزارة الخارجية، باقتراح لدعوة خمسة آلاف من المستشارين الدوليين في فرض القانون، بغية الإسهام في تدريب قوات الشرطة العراقية، مع إمكانية

توليفهم مهام تلك القوات، إن اقتضت الضرورة، كما فعل ضباط الشرطة الدوليون في كوسوفو.

عرضت خطة ماير على لجنة النواب، مجموعة صنع القرار التابعة إلى وكالات مختلفة، برئاسة ستيف هادلي. أفضل النواب الخطة، استناداً إلى تقرير للسي أي آيه يزعم أن الشرطة العراقية تتمتع بالفعل بتدريب حرفي عالٍ، وتوقع البنتاغون مواصلة قوات الشرطة عملها ما بعد الحرب. أدى القلق بشأن نظرة العراقيين، علاوة على ذلك، دوراً كبيراً في إفشال الخطة. تحدث أحد المشاركين، بذلك الصدد، قائلاً: «تمثلت وجهة النظر السائدة في الآتي: لا يمكننا إرسال كل ذلك العدد من ضباط الشرطة. سيبدو الأمر وكأننا نستولي على البلد». خرج مجلس الأمن القومي بخطة جديدة: إرسال وزارة العدل فريقاً صغيراً من خبراء فرض القانون إلى العراق بصورة مباشرة، في أعقاب الحرب، لتقويم الوضع.

انطوى التجول بعد مغيب الشمس، بحلول وصول الخبراء في منتصف أيار/ مايو، على قدر كبير من المخاطرة. اعتادوا التنقل، أثناء النهار، في مواكب مؤلفة من عربتين، وقد حمل جميعهم السلاح. تعين على الأمريكيين توخي الحذر، في تلك المرحلة التي سبقت التمرد، بما يقل عن العراقيين بكل الأحوال. ما عرفت من العراقيين من سلم من جرائم العنف، أو جهل من تعرض لها. اعتاد قطاع الطرق، المسلحون ببنادق «إي كي 47»، الآلية، السطو على العربات في التقاطعات المزدحمة. كان رجال الأعمال يختطفون في الشوارع، ويؤخذون رهائن، حتى دفع عائلاتهم فديات باهظة.

غاب رجال الشرطة العراقيون عن المشهد تقريباً، بعد أن تركوا مواقعهم عند دخول القوات الأمريكية بغداد. التزم معظمهم بيوتهم، بينما بلغ الأمر ببعضهم حد المشاركة في أعمال النهب. تخوف القلة، من العائدين إلى العمل، من محاولة فرض القانون. ما كانوا يحملون سوى المسدسات في مواجهة بنادق المجرمين الآلية.

لم يستلزم الخبراء كثيراً من الوقت لإدراك الحاجة إلى إرسال ما يزيد عن 6600 مستشار شرطي أجنبي إلى العراق بصورة مباشرة.

لم يرسل البيت الأبيض سوى شخص واحد: بيرني كيريك.

امتلك برنارد كيريك من النجومية ما يفوق بريمر، وغيره من العاملين في سلطة الائتلاف المؤقتة. كان الجنود يستوقفونه في أروقة القصر الجمهوري للحصول على توقيع، أو أخذ الصور برفقته. اهتم المراسلون الصحفيون بمقابلته بما يفوق الحاكم نفسه.

شغل كيريك منصب مفوض شرطة نيويورك حين هاجم الإرهابيون مركز التجارة العالمي. تحول الرجل إلى بطل قومي بفعل شجاعته (أصدر أوامر الإخلاء، صارخاً، على بعد كتلة سكنية واحدة من البرج الجنوبي أثناء انهياره)، وصلابته (عمل على مدار الساعة، غافياً في مكتبه، طيلة أسابيع)، وشخصيته الكاريزماتية (مثل خير من يجري اللقاءات التلفزيونية). برز اسم كيريك بينما انشغل مسؤولو البيت الأبيض في اختيار شخصية بارزة لتولي مسؤولية وزارة الداخلية العراقية، ومغالبة التحدي المتمثل في إعادة بناء قوات الشرطة العراقية. رأى الرئيس بوش في الرجل خياراً ممتازاً.

لم يتم كيريك إلى المختالين من منظري الجريمة والعدالة. توفيت والدته، بأئعة الهوى، حين كان في الرابعة من العمر. ترك الرجل الدراسة في المرحلة الثانوية. التحق بشرطة نيويورك، بعد أن عمل أمراً في أحد سجون نيو جيرسي، ليعمل شرطياً في الشارع، فمتحرياً متخفياً عن المخدرات، فرئيساً لإصلاحات المدينة في نهاية المطاف. عمل كيريك، للمرة الأولى، حارساً شخصياً لرودي جوليان. اعتاد التحدث بلغة فجة، وكان يخلق الشعر على جانبي ومؤخر رأسه الأقرع، محافظاً على ما يسم مظهره من بأس وصرامة، وكأنه يحذر الآخرين من العبث معه. خاطب أحد المسؤولين مفوض دائرة إصلاحات المدينة، قبل سنوات، حين عُين كيريك في منصب بارز في الدائرة، قائلاً: «هنيئاً لك. قد وظفت رامبولتو».

سبق لكيريك العمل في الشرق الأوسط، مديراً أمنياً لمستشفى حكومي في السعودية، ليطرد من البلاد في خضم تحقيق حكومي عن مراقبته الطاقم الطبي.

افتقر الرجل إلى الخبرة الشرطية في مراحل ما بعد النزاع، ليميزه ذلك، بكل الأحوال، في نظر البيت الأبيض. أعوزَ المخضرمون، ممن عملوا في الشرق الأوسط طويلاً، إلى الالتزام الكافي بجعل المنطقة ديمقراطية، كما كان ينظر إليهم. اعتبرَ خبراء ما بعد الحرب ليبراليين للغاية، بما يشمل العديد من العاملين لدى وزارة الخارجية، والأمم المتحدة، والمنظمات غير الحكومية. نظر العديد إلى من يماثلون كيريك -من جمهوريين ملتزمين، ذوي سجلات حافلة في العمل والإدارة- كرجال أمثل لتولي المهمة. اتسم أولئك بالولاء، وقد شاركوا إدارة الرئيس بوش هدفها المتمثل في إعادة بناء العراق وفق الرؤية الأمريكية. لم يكن ذلك فحسب ما ميز كيريك، بالنظر إلى محبة الإعلام، وثقة الشعب الأمريكي.

كان روبرت غيفورد، خبير وزارة الخارجية الدولي في فرض القانون، من بين أوائل موظفي سلطة الائتلاف المؤقتة الذين التقوا كيريك عند وصوله إلى بغداد. شغل غيفورد منصب كبير مستشاري وزارة الداخلية العراقية، التي تولت الإشراف على قوات الشرطة، وقد كان يفترض بكيريك تولي منصبه.

تحدث غيفورد إلى كيريك قائلاً: «أفهم أنك ستتولى المسؤولية، وأنا موجودون هنا لدعمك».

عقب كيريك قائلاً: «أتيت هنا لتسليط المزيد من الأضواء على ما يبذل من جهود حثيثة لبناء قوات الشرطة، بالنظر إلى أن الموقف لا يتسم، على الأرجح، بما يظنه الناس من سوء».

فكر غيفورد، قائلاً لنفسه: «لم يأتِ الرجل إلا لتوّه».

أخبر كيريك غيفورد أنه لم يكن ينوي التدخل في عمله، وأنه لم يخطط للبقاء بما يتجاوز ستة الأشهر. كان كيريك شريكاً في شركة جوليانى الاستشارية، وقد أخبر غيفورد أنه مرتبط بعدد من الأمور، قائلاً: «لا يمكنني تحمل كلفة البقاء هنا». أردف الرجل، بكل الأحوال، قائلاً: إن جوليانى وزوجه أكدا على عدم إمكانية رفض مطلب الرئيس.

أبدى غيفورد استعداده لإطلاع كيريك على حقيقة الأوضاع، بينما دخلا مكتب وزارة الداخلية في القصر، قائلاً: «سأجلس برفقتك، وأعلمك بحقيقة الموقف، وهوية اللاعبين، وتفاصيل العملية»، ليستذكر قائلاً: إنه أدرك في حينه أن كيريك لم يكن يعيره الانتباه: «لم يصغ لشيء مما قلته، ولم يقرأ سوى رسائله الإلكترونية. لا أظن أنه اطلع على أي مما عرضناه».

لم يكن كيريك يهتم بالتفاصيل، مخولاً غيفورد انتقاء الطريقة المناسبة لتدريب قوات الشرطة العراقية، بغية العمل في مجتمع ديموقراطي. عمد كيريك إلى إطلاع الحاكم ووسائل الإعلام على حقيقة الأوضاع، بينما تولى عدداً من المهام بصورة شخصية.

عمل كيريك في بداية المطاف، بعد أيام من وصوله إلى بغداد، على إجراء العديد من المقابلات، مؤكداً على تحسن الأوضاع. تحدث الرجل إلى الأسوشييتد برس، قائلاً: «لا يتسم الأمن في بغداد بما كنت أظنه من سوء. هل تقع أمور سيئة؟، نعم، ولكن الوضع لا يخرج عن نطاق السيطرة، وهو آخذ في التحسن». ظهر الرجل في برنامج «توداي شو»، على محطة الإن بي سي، علاوة على ذلك، ليعلن أن الوضع «أفضل مما كان يتوقع»، ناهيك عن مجلة التايم، التي خاطبها، قائلاً: «بدأ الناس يشعرون بثقة أكبر، وهم يخرجون إلى الشارع. فتحت المتاجر والمحال أبوابها، بعد أن رأيتها مغلقة منذ أسبوع مضى».

لم يجازف كيريك فيما يتعلق بسلامته الشخصية. تعاقد الرجل مع فريق من الحرس المنتمين إلى جنوب إفريقية، ممن سبق لهم العمل مع غارنر، ناهيك عن حمل مسدس يدوي، من عيار 9 ملم، داخل سترة السفاري التي يرتديها.

مثلت الأشهر الأولى بعد التحرير مرحلة حرجة للشرطة العراقية. تعين على الضباط العودة إلى مواقعهم، وقد خضعوا للتدقيق في انتماءاتهم لحزب البعث. كانوا بحاجة لاكتساب مهارات جديدة، واستجواب المعتقلين دون تعذيبهم، ناهيك عما استلزمه من عتاد حديث. خضع القادة الجدد لكثير من التمحيص، وتطلب الأمر استخدام عشرات الألوف من الضباط لإنهاء الفوضى.

لم يعقد كيريك سوى اجتماعين إبان وجوده في العراق: عند وصوله، وحين تعرض للمتحيص من قبل مراسل النيويورك تايمز، بحسب جيرالد بيرك، قائد الشرطة السابق في ماساشوسيتس، الذي شارك في مهمة التقييم الأولي في وزارة العدل. لم يؤمن كيريك، بالرغم من صلاته بالبيت الأبيض، التمويل الكافي للمستشارين الشرطيين. أوكلت مهمة تدريب وتنظيم الضباط العراقيين، مع غياب الدعم اللازم، إلى عناصر الشرطة العسكرية الأمريكية، المفتقرين في غالبيتهم إلى الخبرة فيما يتعلق بفرض القانون المدني.

خاطبني بيرك، في وقت لاحق، قائلاً: «لم يمثل بيرني الشخص المناسب، وقد جاء في التوقيت الخاطئ. لم يمتلك المهارات اللازمة. تجسد ما كنا بحاجة إليه في شخصية قيادية على الصعيد التنفيذي... لم يأت بيرني سوى بعقلية الشرطي في الشارع».

تمحور اهتمام كيريك، عوضاً عن التركيز على مجمل الوضع، حول شخصية عراقية واحدة، أحمد إبراهيم كاظم. مثل الأخير نسخة عراقية عن كيريك: رجل يهوى التربييت على ظهور الناس، وشرطي يتبع راعياً قوياً (يجسده كيريك، في تلك الحالة، بما يماثل رعاية جوليانى للأخير). شغل إبراهيم منصب ضابط متوسط الرتبة في بغداد، لا أكثر، قبل وقوع الحرب (سجن الرجل في أواخر السبعينيات لانتقاده صدام، ناهيك عن حرمانه من الترقيات لرفضه الانتساب إلى حزب البعث). أثار إبراهيم اهتمام كيريك لمعرفته بالإنجليزية، على النقيض من كثير من ضباط الشرطة، وإن تحدثها بلغة ركيكة. توطدت العلاقة بين الرجلين، بكل الأحوال، في ختام مؤتمر صحفي مشترك بين بريمر وعدد من ضباط الشرطة العراقيين. أثار إبراهيم الانتباه، في حينه، شاكراً الحاكم أمام أعين العدسات. عين كيريك الرجل، الذي أعلن نفسه جنراً، في غضون أسابيع، رئيساً للتحقيقات، ومعاوناً لوزير الداخلية.

شغل إبراهيم مكتباً فسيحاً في أكاديمية شرطة بغداد، التي استخدمت مقراً للشرطة بعد إحراق مبنى وزارة الداخلية. زينت جدران المكتب بصور لإبراهيم مع كيريك، وبريمر، ورمسفيلد. اتسم الرجل، كما كيريك، بالبراعة في إطلاق الشعارات

الرنانة. خاطبني، في إحدى المرات، قائلاً: «نعمل على تحويل رجال الشرطة إلى أشخاص جدد. يتعين عليهم نسيان الطريقة التي تصرفوا بها في السابق».

عمل إبراهيم، بموافقة كيريك، على تشكيل وحدة شبه عسكرية، من مئة رجل، لملاحقة العصابات الإجرامية التي تشكلت منذ بدء الحرب. لم يملك العاملون لدى كيريك أي فكرة عن هوية الرجال الذين انتقاهم إبراهيم. اشتبه بيرك -الذي بقي في العراق للإسهام في تدريب قوات الشرطة بعد إنهاء وزارة العدل مهمتها التقويمية- في أنهم يتبعون إحدى الوحدات العسكرية أو المنظمات الأمنية التي حظرها بريمر. لم يتحرر أحد عن الأمر بكل الأحوال. زودت الوحدة ببندق «الإم 16» الآلية، وأجهزة الاتصال الأمريكية. مثلت وحدة كيريك شبه العسكرية، في نظر بيرك وغيره من أعضاء فريق وزارة الداخلية التابع لسلطة الائتلاف المؤقتة، خروجاً عن المهمة المتمثلة في إعادة بناء القوات بصورة شاملة، بينما شجع بريمر وأحد معاونيه الرئيسيين، العقيد السابق المغفور جايمس ستيل، كيريك على المضي قدماً في مقاربتة.

اختلف ستيل، مستشار بريمر في قوات الأمن العراقية، عن كيريك إلى حد بعيد. اتسم الرجل بطول القامة، متجنباً البقاء في الأضواء. لم يكن يتحدث إلى الصحافيين إلا فيما ندر، وقد كان يتحفظ للغاية حين يفعل. امتلك ستيل، بكل الأحوال، حس المغامرة في المناطق المعادية. ترأس، في الثمانينيات من القرن المنصرم، فريقاً من المستشارين العسكريين الأمريكيين لمساندة حكومة السلفادور في حملتها ضد المقاتلين الماركسيين. استدعي الرجل، بعد بضع سنوات، للشهادة أمام مجلس الشيوخ في مشاركته في برنامج أوليفر نورث لتزويد ثوار الكونترا النيكاراغويين بالسلاح من قاعدة جوية سلفادورية. ترك ستيل الجيش، في التسعينيات، للعمل لدى إنرون وغيرها من الشركات الخاصة. اتصل به صديقه القديم وولفويتز، قبل نشوب الحرب، عارضاً عليه العمل كبيراً لمستشاري وزارة الكهرباء العراقية. كلف غارنر الرجل، عند وصوله بغداد، بالعمل على تدريب ضباط الشرطة العراقيين.

لم تتضح مهمة ستيل، على وجه العموم، لأعضاء فريق وزارة الداخلية. ما انفك الرجل يغادر المنطقة الخضراء، بما لا يخلو من المجازفة، بغية زيارة مراكز

الشرطة، دون التنسيق مع بقية الموظفين في كثير من الأحيان. بدأ ستيل في بعض الأوقات، كشريف يعمل على تأمين بغداد بمفرده. يستذكر أحد أعضاء فريق التقويم التابع لوزارة العدل، حين توجه برفقة ستيل لحضور أحد الاجتماعات، محاولة الأخير إيقاف سائق عراقي.

سأله العراقي، في حينه، صارخاً: «من أنت؟».

نقل معاون ستيل، ضابط الشرطة الأمريكي العراقي من فيلادلفيا، سؤال العراقي إليه، ليلوح بمسدسه اليدوي، صارخاً: «أنا القانون. توقف...».

شارك ستيل وكيريك إبراهيم، في كثير من الأحيان، في غارات ليلية، مغادرين المنطقة الخضراء في منتصف الليل، قبل أن يعودوا إليها في الفجر، ليحضر كيريك اجتماع كبار موظفي بريمر، حيث يروي بعض النكات، ويصف مغامرات الليل، قارئاً آخر ما أعده معاونوه من إحصائيات الجرائم. اعتقلت شرطة إبراهيم الجواله، كما دعاها بيرك، عدداً من عصابات الخطف وسرقة السيارات، مما ترجم إلى عناوين إخبارية أفرحت كيريك، ونالت استحسان بريمر. لم يكن كيريك، بكل الأحوال، يشرف على وزارة الداخلية أثناء النهار، بالنظر إلى مهامه الليلية، حيث كان يغط في النوم.

ما انفكت المزاعم تثار عن شرطة إبراهيم الجواله. اكتشف الجيش احتفاظ الرجل بالعشرات مما استولى عليه من قذائف ومدافع هاون في الغارات، ناهيك عن آلة تزوير، زعم بعضهم استمرارها في العمل. اتهمت وحدة إبراهيم، علاوة على ذلك، بتعذيب تسع من البغايا المعتقلات بالصدمات الكهربائية.

أثارت الغارات حفيظة الجيش الأمريكي، الذي لم يكن يعلم، في كثير من الحالات، بتنقل عشرات المسلحين من العراقيين، وبضعة الأمريكيين، في أنحاء المدينة، عامدين إلى تحطيم الأبواب. أطلقت وحدات الجيش النار، في بعض الأحيان، على رجال إبراهيم الجوالين، مشتبهة في كونهم من المتمردين. تحدث العقيد تيدي سباين، قائد إحدى فرق الشرطة العسكرية في بغداد، بذلك الصدد، قائلاً: «لم

يكن هنالك من تنسيق. لم أكن واثقاً مما كانوا يحاولون إنجازه، عدا التصرف كرعاة البقر الخارجين لقضاء وقت ممتع».

رغب العديد من أعضاء فريق وزارة الداخلية في لفت الانتباه إلى سلوك كيريك، ولكنهم استنتجوا أن أيّاً من الشكاوى سيتم تجاهلها بذلك الصدد. تحدث أحد أعضاء فريق التقييم التابع لوزارة العدل، قائلاً: «رأى طاقم بريمر في الرجل أهمية كبيرة. لم يرد أحد مساءلة قائد الشرطة إبان الحادي عشر من أيلول / سبتمبر».

لم يرد أحد ذلك باستثناء جيم أوتويل، رجل الإطفاء المنتمي إلى بوفالو، الذي كان يحاول إعادة بناء دائرة الإطفاء العراقية. انتمى رجال الإطفاء، تحت حكم صدام، إلى قوى الشرطة الوطنية، وقد كانوا يطلبون الرشاوي ممن يلتصقون خدماتهم. تمثلت إحدى أولويات أوتويل في تحويل دائرة الإطفاء إلى كيان مستقل ضمن وزارة الداخلية. استلزم ذلك موافقة كيريك، مما دفع أوتويل إلى المطالبة بلقائه لمناقشة المسألة، والبحث في الميزانية المطلوبة لاستجلاب معدات جديدة. لم تسلم سوى محطة إطفاء واحدة من النهب في أنحاء البلاد كافة، ناهيك عن الافتقار إلى مضخات المياه، والفؤوس، والأقنعة، والسلاالم.

أرسل أوتويل مذكرة إلى معاون كيريك الإداري، مطالباً بلقائه. انتظر الرجل يومين للحصول على الرد، قبل التوجه، في اليوم الثالث، إلى مكتب كيريك لمواجهة المعاوان. خاطبه أوتويل قائلاً: «حين أخبرك أنني بحاجة لرؤيته، وأطلب ذلك، فإنني أتوقع أن أوضع على جدول أعماله، وأمثل أولوية». التفت كيريك، الذي كان موجوداً في الجوار، إلى أوتويل.

خاطبه بانفعال، قبل أن يغادر، وهو يبطأ الأرض بقوة، قائلاً: «أقرر من أود رؤيته، وأجعل منه أولوية، وأنا الوحيد الذي يعطي التعليمات بشأن ذلك. هل تفهم ما أقول؟، من تظن نفسك؟».

توجه أوتويل إلى بريمر، في نهاية المطاف، ليوافق على طلبه المتعلق بالتمويل.

شغل فريق وزارة الداخلية مكتباً صغيراً في القصر إلى جانب مستشارين أمريكيين يعملون لدى وزارة العدل. لطالما أحضروا قضاة عراقيين، برفقة المترجمين، لعقد الاجتماعات.

سأل كيريك غيفورد، في أحد الأيام، قائلاً: «بوب، من أولئك الناس؟ من هم؟».

أجابه غيفورد قائلاً: «آه، إنهم عراقيون».

عقب كيريك قائلاً: «ما الذي يفعلونه هنا؟».

أجابه غيفورد قائلاً: «بيرني، يمثل ذلك سبب وجودنا هنا».

حضر كيريك اجتماعاً لقادة الشرطة المحليين في مركز المؤتمرات، عقب ثلاثة أشهر من وصوله. وقف الرجل مودعاً الجميع، حين حان دوره في الكلام. لم يطلع كيريك معظم موظفيه على قراره، بالرغم من إبلاغه بريمر قبل بضعة أيام. غادر الرجل بغداد بعد بضع ساعات.

خاطبني كيريك قائلاً: «كنت في عالمي الخاص، وفعلت ما أرتئيه مناسباً».

استند قرار تعيين كبار المستشارين في سلطة الائتلاف المؤقتة إلى أعلى المستويات في البيت الأبيض والبنتاغون. انسحب الاختيار، في كثير من الأحيان، على طريقة تعيين كيريك: تزكية من قبل جمهوري مقرب لمصلحة صديق، أو زميل موثوق. وظف الآخرون من قبل الرئيس بوش شخصياً. أراد البيت الأبيض، علاوة على ذلك، استبدال فريق جديد بطاقم غارنر، الذي كان ينظر إليه بعين الارتياح، جراء قدوم أعضائه من وزارة الخارجية، وغيرها من الوكالات الفيدرالية، دون التمحيص في ولاءاتهم السياسية.

استند تعيين بقية موظفي سلطة الائتلاف المؤقتة إلى اعتبارات الولاء ذاتها. مثل جايمس أوبيرن، مسؤول ارتباط البيت الأبيض في البنتاغون، «حارس البوابة» فيما يتعلق بذلك الصدد. تولى الرجل مسؤولية اعتماد الموظفين، مستعلماً عن سيرهم

الذاتية بواسطة أعضاء جمهوريين في الكونغرس، ومؤسسات أبحاث محافظة، ونشطاء الحزب الجمهوري. تحدث فريدريك سميث، المدير المساعد لمكتب سلطة الائتلاف المؤقتة في واشنطن، قائلاً: «تمثل المعيار المستخدم لإرسال الناس إلى هناك في امتلاكهم المؤهلات السياسية المناسبة».

أشار أويبرن مرة، بحسب سميث، إلى السيرة الذاتية لأحد الشبان، واصفاً إياه «بالمرشح المثالي». تمثل مؤهل الشاب الرئيس في العمل لدى الحزب الجمهوري في فلوريدا، أثناء إعادة فرز الأصوات في انتخابات الرئاسة للعام 2000.

طرح طاقم أويبرن من الأسئلة، أثناء مقابلات التوظيف، ما يكفي لسوق أي موظف في القطاع الخاص إلى المحاكمة (استثني البنتاغون من معظم ضوابط التوظيف، استناداً إلى تعيينه الأشخاص - بواسطة فقرة مبهمة في القانون الفيدرالي - موظفين سياسيين مؤقتين). تحدث موظفان من سلطة الائتلاف المؤقتة قائلين: إنهما سُئلا عما إذا كانا قد أيدنا قضية «رو ضد وايد»، التي شرعت الإجهاض، وصوتا لجورج دبليو بوش. كتب أحد موظفي السلطة السابقين، الذي شغل مكتباً بالقرب من طاقم ارتباط البيت الأبيض، رسالة إلكترونية إلى صديقه، واصفاً عملية التوظيف بقول الآتي: «رأيت سيراً ذاتية لأفراد موهوبين للغاية، ممن أرادوا العمل في سلطة الائتلاف خدمة للبلاد، ترمى في القمامة، استناداً إلى التشكيك في التزامهم «برؤية الرئيس للعراق» (العبارة المألوفة في أوساط سلطة الائتلاف المؤقتة). رأيت موظفين مدنيين بارزين، من وزارات الخزانة، والطاقة، والتجارة، وهم يحرمون من تولي مناصب استشارية في بغداد، لتسلم، عوضاً عن ذلك، إلى مسهمين بارزين في اللجنة الوطنية الجمهورية».

أخبرني موظف آخر في سلطة الائتلاف أنه فوجئ، حين توجه إلى البنتاغون لإجراء مقابلاته التوظيفية، بأحد معاوني أويبرن يخوض في تفاصيل السياسة الداخلية لعشر دقائق، بما يشمل معارضة الإجهاض وتأييد عقوبة الإعدام. لم يوافق الموظف فيما قال، ولكنه تظاهر بذلك؛ خشية فقدان الوظيفة.

خاطبني منذر فتفت، الأمريكي من أصل لبناني، الذي تقدم لوظيفة كبير مستشاري وزارة الشباب والرياضة، قائلًا: إنه سئل أثناء مقابله، في مكتب ارتباط البيت الأبيض، عما إذا كان جمهورياً أو ديموقراطياً. سئل الرجل مجدداً، حين أجاب بأنه كان ديموقراطياً، عن صوّت له في انتخابات العام 2000 الرئاسية.

تحدث فتفت قائلًا: «تجنبت الإجابة عن السؤال».

سئل فتفت، المسلم، فيما بعد عن ديانته، ليجيب قائلًا: «أنا مسلم ولكنني متزوج من مسيحية. يذهب أولادي إلى مدارس كاثوليكية، كما فعلت في السابق».

يحمل فتفت شهادة الدكتوراه في الدراسات عن الشباب. سبق له العمل أربع سنوات مع الأمم المتحدة وزيراً للشباب والرياضة في كوسوفو. حظي الرجل، علاوة على ذلك بدعم عضو جمهوري في الكونغرس عن بنسلفانيا. حصل فتفت على الوظيفة في نهاية المطاف، بعد الخضوع إلى خمس مقابلات منفصلة في البنتاغون، بينما لم يجر معظم المقبولين سوى مقابلة واحدة.

تعرض الرجل مجدداً، عند وصوله بغداد، للمساءلة عن معتقده. تحدث بذلك الصدد قائلًا: «سألني أحد كبار معاوني بريمر عن ديانتي، ليفاجأ حين أجبته، قائلًا: آه، أنت مسلم؟، ولكنك لست إرهابياً، أليس كذلك؟».

سئل فتفت من قبل أحد زملائه، من كبار المستشارين، مع اقتراب عيد الفطر، عن موعد حلوله بدقة. أجابه فتفت قائلًا بعدم وجود موعد محدد لذلك، استناداً إلى رؤية هلال شوال، ليعقب زميله قائلًا: «هذا غباء. سيحل العيد في غضون أسبوع، ولا تدري متى ستحتفل به؟». عجز فتفت عن التعقيب لهول مفاجأته.

أعلن بريمر، ما إن وصل بغداد، عن الحاجة إلى مئات الموظفين، من ذوي الخبرات الخاصة في معظمهم. أثار الرجل، ورئيس موظفيه، المسألة عبر الهاتف، والدوائر التلفزيونية المغلقة، والرسائل الموجهة إلى الوزراء والبيت الأبيض. التقى بريمر فريدريك سميث، في رحلته الأولى إلى واشنطن في أواخر تموز/ يوليو 2003، ليخبره أن أولويته الأولى تتمثل في إرسال المزيد من الموظفين. خاطب سميث دوائر

واشنطن؛ طلباً للمساعدة. عرضت بعض الوزارات، كالحزبانة، إرسال موظفين على الفور، بينما رفضت أخرى التعاون، كالعدل على وجه الخصوص. تحدث الرجل، بذلك الصد، قائلاً: «كانوا يتذرعون على الدوام بالحرب الداخلية على الإرهاب، ليقابلوا مطالبنا بالرفض حين نخبرهم أن العراق يمثل إحدى أولويات الرئيس».

أرسل بريمر أحد كبار معاونيه، روبين جيفري، في نهاية المطاف، لإدارة مكتب سلطة الائتلاف المؤقتة في واشنطن. تمثلت الأوامر الصادرة إليه في إرسال مزيد من الأشخاص إلى بغداد. قارب جيفري -المصرفي السابق في غولدمان ساكس- المسألة كرجل أعمال: تعاقد مع اثنين من الموظفين، بحثاً عن المواهب في عالم الشركات. عمل طاقم أوبيرن على طردهما من البنتابون، حين علم بالأمر. توسط جيفري لإبقائهما في المبنى، ولكن خسارته حرب المواقع لم تكن بخافية على أحد. أخبر الموظفين لاحقاً أن دورهما يقتصر على تقديم العون فيما يتعلق بمقابلة المتقدمين الخاضعين لتمحيص طاقم أوبيرن في المقام الأول.

تحدث سميث، بذلك الصد، قائلاً: «لتمثل الأمر في انتقاء مستشارين للإدارة الأمريكية، لتفهمت تماماً ما يقتضيه من مراعاة للارتباطات السياسية. يجسد ذلك حقاً للرئيس فيما يتعلق بإدارة الحكومة في أوقات السلم داخل الولايات المتحدة، ولكننا نتعامل مع موقف متأزم في العراق، موقف استثنائي يستدعي، بحسب اعتقادي، التفاوضي عما هو مألوف من التقاليد السياسية، وطرق تسيير الأمور، وتعيين الموظفين، بغية الحصول على أفضل فريق ممكن للعمل على حل المشكلة هناك».

لم يحدث ذلك مطلقاً، بكل الأحوال. أردف الرجل قائلاً: «لا أعتقد أننا أرسلنا الفريق المطلوب. لم نختر الأشخاص المناسبين لأداء المهمة، بما لا يستثنى البيت الأبيض، وما دونه، من المسؤولية. كانت مهمة عسيرة للغاية، ولم نرسل الناس لأدائها إلا بناء على توجهاتهم السياسية».

مضت عملية التوظيف على عجل لاستنادها إلى الولاء السياسي بالمجمل. انبرى طاقم أوبيرن لتقديم لأئحة منجزة من الأسماء، حين طالب المسؤول عن ميزانية بريمر بعشرة من الشبان لأداء مهام إدارية. اشتملت اللائحة على أسماء سيمون

ليدين، ابنة المعلق مايكل ليدين، المنتمي إلى المحافظين الجدد، وكايسي واسون، المتخرج حديثاً من إحدى الجامعات الإنجيلية للطلبة الدارسين في بيوتهم، وتود بولدوين، المعاون التشريعي للسيئاتور الجمهوري ريك سانتوروم. تلقى عشرة الشبان جميعاً، بعد بضعة أيام، رسائل إلكترونية من مكتب أوبيرن. لم يكتشفوا، حتى وصولهم بغداد، ما أثار اهتمام البنتاغون بشأنهم: أرسل جميعهم سيرهم الذاتية إلى مؤسسة التراث المحافظة للأبحاث في واشنطن.

أولت مهمة إدارة ميزانية العراق، المقدرة بثلاثة عشر مليار دولار، إلى ستة من أولئك الشبان، جراء الافتقار إلى الموظفين في بغداد، بالرغم من عدم امتلاكهم خبرة سابقة في الإدارة المالية. اكتسب جميعهم سريعاً لقب «الأطفال المدللين».

لم تبدُ سوق البورصة في بغداد، قبل وقوع الحرب، كأني من مثيلاتها في العالم، مفتقرة إلى أجهزة الحاسوب، وشاشات العرض الإلكترونية، والرجال ذوي السترات زاهية الألوان، الذين يتراكمون في أرجائها. كانت التعاملات «تخريش» على قصاصات ورقية، قبل تدوينها على ألواح سوداء كبيرة. لو أراد المرء البيع أو الشراء، فقد كان يتعين عليه القدوم إلى السوق بنفسه، صارخاً بحاجته إلى أحد المتعاملين لقضائها. افتقرت السوق، علاوة على ذلك، إلى أجهزة تكييف الهواء، وكانت تعج بالصخب. تمكنت الشركات الخاصة، مع ذلك، من جمع مئات الآلاف من الدولارات، ناهيك عما ألمَّ به العامة من معرفة بالمشروعات الحرة.

لم يوفر الناهيون، بعد الحرب، من محتويات السوق شيئاً، وقد كانت عرضة للتجاهل من قبل الدفعة الأولى من خبراء إعادة الإعمار الاقتصادي الأمريكيين، المبتعثين من وزارة الخزانة. تمحور اهتمامهم حول ما هو أهم من المسائل: دفع الرواتب، وإعادة افتتاح المصارف، والحفاظ على استقرار العملة. رغب المضاربون، بكل الأحوال، في العودة إلى أعمالهم، ناهيك عن المستثمرين الراغبين في الحصول على أموالهم.

توصل توماس بريغز، مسؤول وزارة الخزانة الأمريكية البارز في العراق، في حزيران/ يونيو 2003، إلى قرار يتمحور حول ضرورة تحلي إستراتيجية سلطة

الائتلاف بالبراغمية والاعتدال: إعادة افتتاح سوق بورصة بغداد في موقع جديد، والسماح باستئناف عملها كما قبل الحرب. أوكلت تلك المهمة إلى توماس ويرجيس، المنتسب إلى قوات الاحتياط، العامل على قضايا اقتصادية لدى سلطة الائتلاف المؤقتة. لم يجهل ويرجيس ما كان يفعله، بالرغم من تبوُّه رتبة اختصاصي، التي تعلو رتبة الجندي مباشرة، حيث سبق له العمل لدى الأميركيان إكسبرس سمساراً لبورصة. انتقل ويرجيس إلى سلطة الائتلاف المؤقتة، على ضوء مطالبة وزارة الخزانة بإيجاد موقع جديد لسوق بورصة بغداد.

كتب بريغز، في رسالة إلكترونية إلى مسؤولين آخرين في وزارة الخزانة، قائلاً: «تتطلب إعادة افتتاح سوق بورصة بغداد ثلاثة أمور: مبنى، وبعض الهواتف النقالة، ولوحاً أسود، لا أكثر. أخبرتني إدارة السوق أن ذلك يمثل كل ما تحتاجه. لا حاجة لنا بتعقيد الأمور، بصورة أكبر، عبر الإصرار على أي من الأشياء الأخرى. لا حاجة لوزارة الخزانة، حسب اعتقادي، بإرسال أحدهم إلى بغداد لإنجاز ثلاثة الأمور تلك. أعتقد أن استخدام الخبير ويرجيس يمثل فكرة رائعة. سيؤمن تلك المتطلبات ببراعة بالنظر إلى كفاءته».

اكتشف ويرجيس، بكل الأحوال، حين عمل على التدقيق في نظام عمل البورصة، «أن الفساد يعمها من الرأس حتى أخمص القدمين». اقتقرت السوق إلى الإجراءات الوقائية الرئيسة لمنع التلاعب، ناهيك عن الانتقائية فيما يتعلق بترخيص المضاربين، وضعف قواعد تدقيق الحسابات. خرج ويرجيس -من ثم- بخطة من مرحلتين: إعادة افتتاح السوق، وإجراء تغييرات بنوية وتنظيمية، فيما بعد، بغية رفعها إلى مستوى المعايير الدولية من حيث الشفافية والفاعلية. أوضح الرجل الخطوط العريضة لخطته في مذكرة مطولة إلى توماس سي. فولبي، المسؤول في سلطة الائتلاف المؤقتة عن عملية الخصخصة في العراق.

لم يختبر أحد السوق كما فعل ويرجيس. أمر فولبي وغيره من مسؤولي السلطة البارزين، حين اطلعوا على مذكرة الرجل، بإبقاء السوق مغلقة، بينما تتم مقارنة الأمور التنظيمية. تحدث ويرجيس، بذلك الصدد، قائلاً: «غدت المسألة قضية سياسية خلافية إلى أبعد الحدود».

أخبر ويرجيس فولبي بحاجته للمساعدة فيما يتعلق بوضع أنظمة جديدة. وعد الأخير بجلب أحد خبراء الأوراق المالية، ليفكر ويرجيس قائلاً لنفسه: «سأحظى بشخصية رفيعة المستوى من بورصة نيويورك، على سبيل المثال، أو لجنة الأوراق المالية والصراف، شخصية تدري ما تفعل».

لم يحظَ الرجل، في نهاية المطاف، بغير شاب قلق، ومتقلب، ويتسم بالعصبية، في الرابعة والعشرين من العمر.

لم يرق العمل في شركة العقارات كثيراً لجاي هالين. مثل الشرق الأوسط شغفه، وقد بلغ به الاهتمام، بالرغم من عدم زيارته قبلاً، حد حضور دروس في اللغة العربية، وقراءة تاريخ المنطقة في أوقات فراغه.

انتابت الرجل مشاعر متفاوتة حيال الحرب التي شُنت للإطاحة بصدام، ولكنه رأى في الاحتلال الأمريكي فرصة ملائمة. أرسل هالين، في صيف العام 2003، رسالة إلكترونية إلى روبين جيفري، الذي التقاه قبل عام مضى، حين تقدم إلى وظيفة في البيت الأبيض. توجه هالين بسؤال بسيط إلى جيفري، قائلاً: «هل توجد فرص للعمل في بغداد?».

رد جيفري عليه، في رسالة بعثها، قائلاً: «كن حذراً مما تتمناه»، قبل أن يرسل سيرته الذاتية إلى مكتب أوبيرون.

تلقى هالين مكالمات هاتفية من البنتاغون، بعد مضي ثلاثة أسابيع، تفيده برغبة سلطة الائتلاف المؤقتة في قدومه إلى بغداد على الفور، سائلة عما إذا كان بمقدوره الاستعداد أثناء ثلاثة أو أربعة أسابيع.

استذكر هالين، بذلك الصدد، قائلاً: «مثلت تلك المكالمات صدمة بحق. لربما غيرت حياتي بالقدر الأكبر».

طلب الرجل، بالرغم من تلهفه للمفارقة، بضعة أيام لاستشارة عائلته. انتظر هالين شهراً، بعد موافقته، ليأخذ في التفكير ثانية، عقب انفجار سيارة مفخخة أمام السفارة الأردنية، وتفجير مقر الأمم المتحدة في بغداد، الذي وقع اثنين وعشرين

قتيلاً. تحدث هالين، بذلك الصدد، قائلاً: «كدت أرفض الوظيفة، متردداً إلى أبعد الحدود، وقد سبب ذلك لي كثيراً من المعاناة، عاجزاً عن النوم أسبوعاً أو اثنين».

أخبرته عائلته بعدم رغبتها في مغادرته. قرر هالين، في نهاية المطاف، قبول الوظيفة. تحدث بذلك الصدد قائلاً: «علمت أنها تمثل إحدى الفرص الثمينة القليلة لتغيير حياتي بصورة إيجابية، مؤمناً بأن الحياة لا تمنح من لا يجازف العطايا».

لم يكن هالين من يجازف وحده، بل سلطة الائتلاف المؤقتة كذلك. لم يسبق للرجل متابعة أسواق البورصة الأمريكية، أو دراسة الاقتصاد أو التمويل، وإن أدى دور مقال في مسرح جامعة يال، حيث درس العلوم السياسية.

عمل هالين، عقب تخرجه، في شركة استشارية خاصة في واشنطن. أرسل الرجل سيرته الذاتية إلى البيت الأبيض، بعد عام ونصف، ليستدعى لمقابلة جيفري، دون الحصول على الوظيفة. احتفظ هالين ببريد جيفري الإلكتروني، ليحاول ثانية حين علم أنه كان يعمل لدى بريمر.

أرسل هالين، قبل مغادرته، إلى قاعدة عسكرية في فيرجينيا، للخضوع «لدورة تدريبية». تلقى الرجل لقاحين ضد الأمراض، وسترة واقية تفتقر إلى صفائح السيراميك القادرة على صد أعيرة البنادق الآلية من طراز «إي كي 47». غادر هالين إلى الكويت فيما بعد، حيث حصل على قناع للغاز، واستمع إلى محاضرة عن أربعة أصناف المتفجرات الأكثر شيوعاً في العراق، ناهيك عن منحه طقماً كاملاً من البزات العسكرية (طولب المدنيون الأمريكيون بارتدائها، حال تعرض المنطقة الخضراء لهجوم؛ بغية تمييزهم عن «العدو»). قصد الرجل إحدى حدائق الملاهي، واحتسى الشراب، قبل الصعود على متن طائرة الشحن «سي - 130»، التي أقلته إلى بغداد.

التقى هالين، يوم وصوله، رئيسه الجديد توماس فوللي. صدم الرجل حين علم برغبة فوللي في توليه مسؤولية إعادة افتتاح سوق البورصة.

خاطب هالين فوللي قائلاً: «هل أنت واثق مما تقول؟، لا أملك خلفية فيما يتعلق بالأمور المالية».

عقب فولبي قائلاً: «لا بأس بذلك. يتمثل عملي في إدارة المشروع، ودفعت البقية إلى إنجاز أعمالهم، وتنظيم العقود. ستمثل نقطة التواصل الرئيسية، لا أكثر».

دعا ويرجيس هالين، عقب لقائه فولبي، إلى إحدى شرفات الطابق الثاني من القصر، ليقدّم له سيجاراً كوبيّاً، بينما كانا يتأملان بركة السباحة، ويحدثه عن نفسه. بلغ ويرجيس التاسعة والثلاثين من العمر، ورزق بطفلين من زواجه. أمضى الرجل ستة أعوام في البحرية، قبل أن يعمل محققاً خاصاً، فمعاوناً لشريف إحدى المناطق، فموظفاً للتأمينات، فرجل مبيعات، فمستشاراً مالياً خاصاً في نهاية المطاف.

أخبر هالين ويرجيس عما أمضاه من وقت في جامعة يال، علاوة على الوظيفتين اللتين شغلتهما بعد تخرجه.

فكر ويرجيس، بينما كان هالين يتحدث، قائلاً لنفسه: «لا عمل له هنا».

حسب ويرجيس أنه عقد اتفاقاً مع هالين، ينص على تولي الأخير مسؤولية التواصل مع البارزين من موظفي السلطة، وحضور الاجتماعات، وإطلاع فولبي على فحواها، بينما يتولى ويرجيس العمل مع العراقيين، وإقامة سوق البورصة.

تحدث هالين، بعد خمسة أيام من وصوله، في رسالة إلكترونية إلى عائلته وأصدقائه، قائلاً:

«تبدو المنطقة الخضراء برمتها كحرم جامعي: تحوي العدد ذاته من الناس تقريباً، حيث يقوم كل منهم بأعمال مختلفة طيلة اليوم، وإن تم ذلك في المباني ذاتها، مستخدمين المرافق ذاتها. تمثل المنطقة الخضراء عالماً صغيراً، ولا يمكن لغير ما يتسم من البيئات بالخطورة، أو يفتقر إلى الراحة، أو يتصف بالاختلاف، أن يمنح الناس شعوراً بالتقارب فيما بينهم..»

اتسم كل من التقيت من العراقيين باللباقة، ناهيك عما أظهره من تأييد. يعد ذلك متوقفاً، بحكم عملي في سلطة الائتلاف المؤقتة (بما يستثني من يمكن أن يرموني بالقنابل). يمثل العراقيون شعباً عظيماً، إن وضعنا المزاج جانباً. قد يتسم رأيي بالسذاجة، كوني وصلت لتوي، ولكنني أعلق آمالاً كبيرة على هذا البلد. تنطلق

جهود إعادة الإعمار بقوة، وتنفذ العديد من المبادرات البناءة المفترقة إلى الدعاية، على قدم وساق. يلتزم الأمريكيون بالقضية إلى حد بعيد، ناهيك عن شركائهم في الائتلاف. لا يفتقرون إلى الموهبة، أو القدرة على الإنجاز، بينما يدعمهم كل من التقيت من العراقيين، المتحمسين على حد سواء».

دعا هالين ويرجيس إلى اجتماع، بعد مضي أسبوعين، قائلاً بحدوث تغيير في الخطط.

استذكر ويرجيس، بذلك الصدق، قائلاً: «أخبرني أن المشروع لم يعد تحت نطاق مسؤوليتي الشخصية، وأنتي سأستبعد بالنظر إلى تنحية الجيش عن المهمة، قبل أن يختم اللقاء».

امتلك هالين خطة جديدة. لم يُردِ الرجل إعادة افتتاح سوق البورصة فحسب، في أقل من أربعة أشهر، بل جعلها الأفضل والأكثر حداثة في العالم العربي، ناهيك عن وضع قانون جديد للأوراق المالية، يمنح السوق الاستقلالية عن وزارة المالية، بقوانينها الداخلية ومجلس إدارتها، وتشكيل لجنة للأوراق المالية والصراف؛ بغية الإشراف عليها، ومنح الرخص لمضاربيها، وإلزام الشركات المتعاملة معها بالكشف عن حساباتها المالية، وتزويدها بنظام حاسوبي للتجارة والتسوية المالية.





## المنطقة الخضراء، المشهد الرابع

لم تختلف فطائر البييتزا التي يعدها مطعم نابولي عن مثيلاتها في إيطالية. كان المطعم يدار من قبل وليد خالد، الذي سبق له العمل سنتين في مطعم للبييتزا، قرب نافورة تريفي، في روما. عاد الرجل إلى بغداد عقب شهر من التحرير؛ ليستقدم البييتزا الحقيقية إلى بلده. وضع وليد في حسبانته نفور العراقيين من البييتزا، ليدرك أنه سيحظى بكثير من الزبائن من بين آلاف الأمريكيين الذين أتوا بغداد.

استأجر الرجل محلاً في شارع يافا، إلى الشمال من المنطقة الخضراء، عاقداً العزم على تقديم الأصناف الإيطالية الأصلية. استحضر وليد عمالاً لتشييد فرن من القرميد، ناهيك عن العثور على ملبنة، قرب سجن أبو غريب، لإعداد جبن الموزاريلا وفق مواصفاته، والاتفاق مع مزارع لتأمين الطماطم النضرة ذاتها التي يمكن إيجادها في توسكاني، وزراعة الحبق في حديقته. كلف الرجل أخاه، علاوة على ذلك، بتلقي طلبات الزبائن.

بدا وليد كمن يمضي كثيراً من الوقت في طهي الطعام وتناوله: ما انفك الدقيق يغطيه، وقد كان قميصه يستوعب بطنه بالكاد. بدا الرجل، علاوة على ذلك، متعباً على الدوام. اعتاد الاستيقاظ في الفجر لإعداد العجين والصلصة، قبل أن يمضي بقية يومه أمام الفرن. امتلك وليد مكيفاً للهواء، دون أن يضمن تدفق الطاقة الكهربائية التي كانت تنقطع ثلاث ساعات، في معظم الأيام، قبل أن تتدفق ثلاثاً آخر. لم يوفر فتح الشبائيك البرودة للمكان، عند انقطاع التيار الكهربائي، بالنظر إلى تجاوز درجة الحرارة الأربع والخمسين في الخارج.

التقيت وليداً، في أحد الأيام، بينما كنت أعادر المنطقة الخضراء. أحسست بالجوع، في حينه، وقد أغررتي لافتة محله الخشبية، زاهية الألوان، بإيقاف العربة لاستطلاع الأمر. لم يكن لديه موائد في المطعم، بل بأرضيق ذو أربعة مقاعد. لم يقدر الرجل ما كان بحاجة من حيز، بحيث شغل الفرن، بعد تشييده، معظم مساحة المطعم.

أخبرني وليد، بينما أعد لي فطيرة بالفلفل الأخضر، والفطر، والبصل، عما أمضاه من وقت في الجيش، ودراسته في جامعة بغداد، وهربه إلى الأردن، وحياته في إيطاليا. أدركت، منذ القضة الأولى، أنني وجدت ضالتي «الغذائية» في بغداد.

جلس وليد بجانبني، بينما كان يرتشف الكولا، قبل أن يتساءل بلغة إنجليزية ركيكة، قائلاً: «أين هم الأمريكيون؟ افتتحت مطعماً ممتازاً لإعداد البيتزا، ولكن أحداً لم يأت».

عقبت قائلاً: «هم في المنطقة الخضراء. يتعين عليهم اتباع قواعدهم».

عقب قائلاً: «قواعدهم! ما الذي تعنيه؟، أنا قريب للغاية منهم، بحيث يمكنهم المجيء سيراً على الأقدام».

لم يمتلك الرجل فكرة عما كانت عليه الحياة داخل أسوار المنطقة الخضراء. لم يدر أن الأنوار كانت مضاءة على الدوام، وأن السائقين يلتزمون حدود السرعة، وأن أنواع المآكل كافة تتوافر في القصر.

